مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

النسق السياسي في شعر السجون في العصر العباسي

م.م.عبدالله كامل مطرود الزبيدي أ.د.حربي نعيم الشبلي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

التخصص العام للبحث: الادب العربي	التخصص الدقيق للبحث: الادب العباسي

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

النسق – النسق السياسي – شعر السجون – الأنساق الثقافية – العصر العباسي

المستخلص باللغة العربية:

يناقش هذا المبحث تجليات النسق السياسي في شعر السجون خلال العصر العباسي، عبر قراءة نسقية ثقافية تحاول الكشف عن البُنى الثقافية المضمرة والظاهرة التي تشكّلت في ظل هيمنة سياسية استبدادية، عبر استعمال آليات النقد الثقافي والتحليل وفق هذه النظرية. فضلًا عن الاستعانة بأدوات المناهج التحليلية الأخرى ومستعينًا بدراسات سابقة في هذا الميدان مثل اطروحة للدكتوراه بعنوان(شعر السجون في الشعر العربي من 334هـ إلى 656هـ دراسة موضوعية وفنية) للباحثة أمل جبار الشرع في الجامعة المستنصرية، كلية الآداب أيضًا درست أشعار السجون برسالة عنوانها: (شعر السجون في العصر العباسي من 132هـ هجرية حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية تاريخية) للباحث هادي سدخ زغير، طبعت أيضا إلى كتاب عام 2024م في دار الشؤون الثقافية، وكتاب نشرته دار نور العالمية بعنوان:(شعر السجون في العصر العباسي) للدكتور خالد ادريس التدريسي في جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا وكان بحثنا هذا مختص في دراسة النسق السياسي في شعر السجون وأحسب أنها الدراسة الأولى التي تعتمد منهجية النقد الثقافي وآليات التحليل الثقافي في تناول شعر شعراء السجون، ويُقسم البحث إلى ثلاث محاور بارزة:

1. نسق الاستبداد: ويُظهر استئثار الخلفاء العباسيين بالحكم ومصادرة حقوق المعارضين، وانعكاس هذا القمع على شعر السجون، حيث اتخذ الشعراء من السجن منبرًا للنقد والشكوى من الظلم، كما في شعر عبد الله بن علي وتميم بن جميل.

2. نسق المواجهة: ويتجلى في النصوص التي واجه فيها الشعراء السلطة مباشرة أو بشكل ضمني، من خلال استخدام وسائل بلاغية تنقل التحدي والرفض والتذكير بتقلبات الزمان، كما في شعرالسيد الحميري ت(173ه) و ابن العميد ت(360ه) وغيرهم.

3. نسق صناعة الفحل السياسي: ويتناول هذا الجانب تمجيد السلطة و"تفحيل" الحاكم، أي إضفاء صفات التفوق والقوة عليه، حتى تغدو العلاقة معه علاقة استحواذ وخضوع طوعي، على نحو ما نجد في شعر أبي نواس ت(198ه) وعلي بن الجهم ت(249ه) وغيرهم.

وتكشف الدراسة عن دينامية الأنساق السياسية في شعر السجون بوصفها أدوات نقدية وثقافية تستبطن مواقف ثقافية مناهضة للهيمنة، أو على النقيض من ذلك تسويغية تكرّس القداسة للحاكم.

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

مثل شعر السجون مضمارًا ثريًا إذا ما وضع في معيار النقد الثقافي، لأن النقد الثقافي وتمثلات الأنساق الثقافية التي يقوم عليها هذا المنهج لا تتم إلا عبر وجود معارضة أو معاناة على الأقل، تلك الأشياء التي تروج لفكرة الأنساق المخاتلة التي لا يتمكن للشاعر من البوح بها لكنها تظهر على هيأة أنساق مضمرة فتتم قراءتها عبر قياسها بما هو ظاهر في النص بيد أنه قد يتعرض للمناقضة وإلى الابتعاد عن الواقعية في أحيان أخرى.

هذا البحث الذي (الانساق السياسية في شعر السجون) يتابع ذلك عبر تمهيد وثلاثة محاور تناول توضيحًا موجزًا لمفهوم النسق السياسي وكشف المحور الأول عن نسق الاستبداد، فيما تناول المحور الثاني نسق المواجهة بالدراسة، أما المحور الثالث فقد درس نسق صناعة الفحل السياسي.

التمهيد

يمكن تعريف النسق السياسي بما جاء في الدراسات السياسية بأنه "تمثيلٌ لمجموعة العلاقات السياسية التي تميز مجتمعًا ما في مدةٍ ما من الزمن، وفهمه يتوقف على الثقافة والمسار السياسي، ونمط تقسيم العمل"[1] في المجتمعات، فالسياسة مرتبطة بممارسات السلطة وعلاقاتها بالمجتمع وتفاعلها معه.

والسياسة بوصفها أحد الحقول المعرفية المنضوية تحت لواء الدراسات الثقافية فهي في هذا المجال ليست مجرد منظومة تعنى بالانتخاب والأحزاب وتشكيل الحاكم، بل هي سلطة تعم كل المجالات المتعلقة بتنظيم شؤون الأفراد والجماعات ضمن رقعة جغرافية محددة، فتكون سلطةً تجمع النقيضين في الوقت نفسه هما الاكراه والتمكين، فهي إذن فعاليات مركزية لها دورها في الاستنساخ والتوليد والتنظيم والتعديل للنظام المجتمعي الثقافي[2].

ومن البديهي أننا في قراءة الأنساق المهيمنة في شعر السجون في العصر العباسي نحدد النسق السياسي بوصفه نسقًا محوريًا في الثقافة السائدة عند شعراء السجون، ولا سيما ونحن نتحدث عن حقبة زمنية مليئة بالصراعات السياسية والاختلافات السلطوية والثورات المتكررة.

المحور الأول: نسق الاستبداد:

اتسم طابع الحكم في الدولة العباسية بالتأثر بالأنظمة المتبعة في الدولة الساسانية، إذ انتقلت تجربة هذا النظام بتفاصيلها إلى حكومة بني العباس، ومن أهم سماتها الاستبداد أي أن الحاكم يحكم حكمًا مطلقًا متفردًا لا يشاركه فيه أحد، وإذا ما أحس برغبة أو نية للمشاركة من قبل الآخر قام بعزله أو تصفيته، فإذا صار إلى نهايته ورّثها لأحدٍ من أهل بيته، يعينهم على هذا التسلط ادعاؤهم الانتماء إلى بيت النبوة وتسليم الناس بذلك، الأمر الذي رسّخ في أذهانهم أنهم حماة الدين وحراسه والمفوضين الشرعيين للدفاع عنه وبذلك تكون الخلافة حكرًا عليهم[3]، وعلى هذا الأساس سجن كثير من المعارضين لهذا النهج المتسلط بعد ثورات متكررة، ومن هؤلاء الذين سجنوا الشعراء والعلماء والأمراء[4]، فقد كان عم أبي جعفر المنصور عبدالله بن علي بن العباس أحق بالخلافة ـــ بعد السفاح ـــ من ابن أخيه إذ كان قائدًا مهمًا في المعسكر العباسي، وله الدور الأهم في استئصال الأمويين، لكن طمع المنصور بعرش الخلافة أعماه، فخلع عمه

وعقد الخلافة من بعده إلى ولديه الهادي والمهدي، فشعر عبدالله بالحيف الذي وقع عليه وثار مع جماعة من الذين يؤمنون بأحقيته، لكن ثورته سرعان ما أخمدت فأودع السجن حتى مات فيه[5]، ومن شعره في الحبس[6]: (من الخفيف)

نقض العهد خائس بالأمان مستحل محارم الرحمن
سلبتنا الوفاء والحلم طوعا فاعتلينا به بنو مروان
ليتني كنت فيهم حسب العيـ ـش طليقا أجر حبل الأماني
كل عتب تعيرنيه الليالي فبسيفي جنيته ولساني

تظهر الأبيات نقدًا مباشرًا وموار بًا للحكم المتبع الذي يصادر حقوق الآخرين ويقصي القيم النبيلة في المجتمع، فالبيت الأول يشير إشارة واضحة إلى سمة رئيسة من سمات الحاكم المستبد، وهي سمة الخيانة إلى جانب نقض العهد والاعتداء على المحرمات، إذ سلط الشاعر الضوء على حدث تاريخي مهم وهو حدث الانتقال الذي أجري للسلطة الذي اتسم بطابع القوة والظلم.

ولعل الشاعر لما شاهده من استبداد وتعسف في إدارة شؤون البلاد؛ كانت رغبته بعد أن يئس من كل وجوه التغيير والتأثير أن يكون وحيدًا بعيدًا عما شهده، وفي رغبته هذه نلمس نسقًا للاستبداد إذ لا يمكن للشاعر أن يرغب بالحرية والعدالة إلا إذا كان قد تعرض لظلم، وهو قد أنّب نفسه لقوله كلمة الحق أما ذلك المستبد فكان جزاءه السجن، إن أبيات مثل هذه وتجربة لشاعر مثل هذا لا يمكن أن تحدث في ظل حكومة عادلة إنما تتحقق مع حاكم ناقض للعهد خائن للأمانة مستغل للسلطة منتهك للحقوق.

إن دولة مستبدة مثل دولة بني العباس لا يمكن أن تقوم إلا على الدماء، فكثيرة هي الثورات التي قامت عليها فما يلبث الخليفة العباسي لحفظ عرش الخلافة إلّا أن يفتك بأصحاب هذه الثورات فلا يرحم أحد سواء شارك فيها أم لم يشارك وصفته الوحيدة هي الانتماء إلى الجهة الثائرة، ومنها ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وأصحابه ومنهم الحسن بن معاوية الذي انتهى به الأمرــ بعد القضاء على ثورة النفس الزكية ـــ إلى السجن، وقتل أخوه يزيد بن معاوية، فأنشد مستعطفًا المنصور العباسي ليرحم صغار أخيه[7] قائلًا[8]: (من الكامل)

ارحَم صِغَارَ بَني يَزيد أنَّهم أيتموا لفقديّ لا لفقدِ يزيد
وارحم كبيرًا سنه متهدمًا في السجنِ بينَ سلاسلٍ وقيودِ
ولَئن أخذتَ بجُرمنا وَجَزيتنا لنقتَّلن بِه بكلِ صعيدِ
أو عدتَ بالرحمِ القريبةِ بَيننا مَا جَدُّكم مِن جدنا بِبعيد

إن هذا النص الأدبي عبر عن صراع مع الاستبداد والظلم الاجتماعي والسياسي، وينمي رغبة الدعوة إلى روح التسامح والخير، إذ صور أبشع مظاهر القمع في النظم المستبدة عبر وصفه لحال السجون وتقييد الحريات، ولا شكّ أن الدعوة إلى الرحمة بهذه الصورة وبخاصة إشارته إلى معاناة الاطفال ما يبين تأثير الاستبداد على الاسرة والطفل وما يسلبه منهم هذا النوع من الحكم.

أما ذكر الشاعر لصلة القرابة بينه وبين الحاكم بقوله (ما جدنا عن جدكم ببعيد) ما يرشد إلى دور العلاقات الشخصية في النظم الاستبدادية بعيدًا عن العدالة والحكم بالقانون، ولعل الرحمة عند هؤلاء لا تعطى إلّا بناءً على مصالح السلطة أو من هو قريب منها.

وليس الحسن فريدًا في التوسل بموقف الأطفال ومأساتهم عند فقده لدى الخليفة العباسي بل شاركه في هذا الأمر تميم بن جميل بقصيدته التي ألقاها أمام المعتصم ليعف عنه قال[9]: (من الطويل)

وما جزعي من أن أموت وإنّني لأعلم أنّ الموت شيء موقّت

ولكنّ خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتّت

كأني أراهم حين أنعى إليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوّتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة أذود الرّدى عنهم وإن متّ موّتوا

إن التعارض الذي يُلمح في هذا النص وسابقه أمر مثير للغرابة، فالشاعر قد أودى به الاضطراب الحاصل نتيجة لخوفه على مصير عياله إلى المخالفة بين ما يؤمن به و يعتريه من أفكار قد تكون سائدة عند جماعته، وبين ما يصرح به، فهو قد استعطف حاكمًا مستبدًا بصيغة استعطاف أهل الرأفة عبر أبيات يتوسل عبرها بصغاره عنده، وإذا ما عدنا إلى الدافع الأول الذي جعله يستعطف وهو الأطفال ومصيرهم، يتبادر إلى الأذهان سؤالٌ مفاده: لم يخاف الشاعر على مصير أولاده وهم تحت رعاية حاكم عادل رؤوف؟ فلو كان صاحب الخطاب واثقا من عدالة الحاكم ما كان ليخشى المجهول من مصير أطفاله، ليأتي هنا دور النسق المضمر الذي يكشف عن نمط للتفكير السائد عند المجتمع القائم آنذاك الذي يؤمن بطبيعة الاستبداد التي اصطبغت بها المنظومة الحاكمة، فهي بعيدة كل البعد عن مبدأ الحماية الاجتماعية للأسرة والطفل.

المحور الثاني: نسق المواجهة:

لم يفتأ شعر السجون يعبر عن نسق المواجهة بالوسائل المتوفرة، إذ ينتج عن كشف المضمرات النسقية للخطاب الاحتمالي لهؤلاء الشعراء عن تحديد مساوئ السلطة في مستوياتها المختلفة، ويتعرض لها بالنقد، لينتهي بمحاولات لوضع الحلول أو التغيير كل ذلك عبر اشتغال النسق المخالف[10]، وقد تظهر المواجهة عند بعض الشعراء الذين لهم مكانة سياسية أو اجتماعية، ومنهم ابن العميد الذي وصف تخلي القوم عنه في محنته في السجن بعد أن كان وزيرًا لركن الدولة[11]، فقال[12]: (من البسيط)

ما بال قومي يجفوني أكابرهم أأن أطاعتهم الأيام والدول؟

أأن تقاصر عني الحال تقطعني عراهم؟ شاء ما شاءوا وما فعلوا

أغراهم أن هذا الدهر أسكتني عنهم وتنطق فيه الشاء والأبل

قدماً رميت فلم تبلغ سهامهم وأخطأ الناس من مرميه زحل

ابن العميد في هذه القصيدة يمثل شخصية المثقف الذي يتعامل مع الظروف والأزمات بصبر وثبات وقوة، إذ يتجلى نسق المواجهة في بثه للفخر ورفض الخضوع وتفضيل الكرامة على النجاة، فتحدث عن محاولات القوم الاضرار به فتقاصر الحال عنه والمكر المحيط لم يؤثر في كبريائه واعتداده بنفسه، ولعل عبارة (الأيام دول) تحمل نسقًا مضمرًا متعلقًا بالمواجهة التي يحتفظ بها الشاعر لنفسه تجاه القطيعة السياسية والاقصاء السلطوي، فالنسق هنا يعبر عن رفض الهيمنة السياسية التي تفرض سلطتها بمساعدة الزمن وتغيراته على الناس لتكون وبالًا عليهم، وبذلك يكون الشاعر قد حدد المشكلة في النظام وقام بنقدها نسقيًا وطرح البدائل التي تكون في الجهة المقابلة لهذه الصفات؛ لتتم بذلك عملية المواجهة المضمرة.

وقريب من هذا المضمون ولكن بهيأة المنكسر يعود ابن العميد ليكون مواجهًا ضمنيًا للتسلط، إذ قال[13]: (من البسيط)

راعوا قليلاً فليس الدهر عبدكم كما تظنون والأيام تنتقل

والخطاب هنا أقل حدة أكثر تعقلًا وتوجيهًا من سابقه على الرغم من أنه صادر من الشخص ذاته وفي الموقف ذاته كذلك، فكان النقد فيه محذرًا لطيفًا نسبيًا إذا ما قورن بسابقه، متوعدًا بما ليس من عنده إنما من الزمن وتقلباته، فالزمن لا يخضع لهم كما لم يخضع لغيرهم، فهو إذن قد حدد المشكلة القائمة نسقيًا وواجه هذه المشكلة بتوفير عنصر التغيير المحتمل الذي يراهن عليه وهو الزمن.

أما السيد الحميري فلم يكن ــ رغم رغبته بالخلاص من السجن ــ بمنأى عن نسق المواجهة ففي قوله[14]: (من الكامل)

فاسلمْ فإنّك قد نزلتَ بمنزلٍ عندَ الأمير تَضرُّ فيه وتَنْفَعُ

تُؤتى هواكَ إذا نطقتَ بحاجةٍ فيهِ وتَشفعُ عنده فيشفِّعُ

قلْ للأميرِ إذا ظفِرتَ بخلوةٍ منه ولم يكُ عندَه من يَسمعُ

هبْ للذي أحببتَه في أحمدٍ وبنيهِ إنّك حاصدٌ ما تَزرَعُ

والشاعر هنا يستحضر صراعًا تاريخيًا قائمًا وهو في حضرة الطرف المهيمن واقعيًا لكنه كان مواجهًا بوضع الطرف الثاني في موقف القوة، فيشير على الأمير أن يكون محبًّا لآل بيت محمد (عليهم الصلاة والسلام)، وهو عارف بمدى العداء الذي تكنه سلطة بني العباس لهذا البيت، وهذا الأمر بمثابة المواجهة الفكرية العقائدية من لدن السيد الحميري الذي عرف بولائه لآل بيت الرسول (عليهم السلام)، والغريب في الأمر أنه لم يكن مواربًا متواريًا عن إظهار ولائه الشيء الذي يحيلنا إلى النسق الراسخ في فكر أتباع أهل البيت وهو نسق المواجهة.

إن الشاعر الذي آمن بمبدأ التشيع القائم على المواجهة من دون النظر إلى الفوارق التي بينه وبين الآخر بالقوة، لا يطيق الجور ولا يأبه له بل يكون شغله الشاغل المواجهة، فإذا حاول إخفاء رغبته بها تركها لتظهرها الأنساق الثقافية الكامنة في منظومته الفكرية والعقائدية والسياسية، ولنكون أكثر وضوحًا في قولنًا ولنأخذ شاهدًا آخرًا إلى جانب السيد الحميري، وهو الشاعر محمد بن صالح العلوي الذي خرج في أيام المتوكل فقبض بمعونة من عمه الذي أقسم عليه بوضع سلاحه خوفًا على أبنائه من بطش سلطة المتوكل، فقبض ومن معه وسجنوا في سر من رأى[15]، وله قصيدة في الحبس منها[16]: (من الكامل)

واقنع بما قسم الإله فأمره ما لا يزال عن الفتى إتيانه

والبؤس فإن لا يدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوانه

استدعى الفكر الجمعي هذا المفهوم في لحظات العسر، وهو فكر يتناص مع قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[17]، ولا شك في أن هذا الفكر الجمعي يلتمس في مثل هذه المضامين الابتهاج والأمل من كدر الحياة وبخاصة حياة السجن المليئة بالمكابدة المستمرة وفي ذروة الكرب وشدة الطغيان السلطوي تتكئ على الأمل المنبعث من هذه المفاهيم للاستشفاء بها في قيظ الحياة، أما الشعور بهذا الأمل مع الايمان ترافقهما سجية ومنبع ثائرٌ، فضلًا عن مرجعية ملهمة وأنموذجًا راسخًا في القيادة مع إدراك للظلم ومعرفة للظالم يتحقق الرفض والنقد والتغيير النسقي عبر نسق المواجهة المترسخ في الخطاب الشيعي.

المحور الثالث: نسق صناعة الفحل السياسي:

يعد نسق الفحل السياسي من أهم الأنساق التي تتشعب من النسق السياسي ويتجلى هذا النسق بأشكال مختلفة منها تمجيد الفحولة السياسية الفردية، والنزوع إلى الفحولة، وخشية المنافسة، وإبراز فاعلية الفحل السياسي، فضلًا عن الاستحواذ على الثروة[18]، فخلفاء بني العباس لم ينظروا إلى مقاماتهم على أنهم حكام عاديون وضعوا لخدمة الرعية بل نصّبوا ذواتهم أئمة على المسلمين ليضفوا على أنفسهم صفة القداسة، فجعلوا التفكير السائد للمجتمع العباسي يتصور أن من الشرك أو الخطر التعدي على مقام الخليفة[19]، فانتقل الأمر إلى المسجونين، ومن شواهد ما تقدم قول أبي نواس يمدح الفضل بن الربيع لأنه توسط له للخروج من السجن، قائلًا[20]: (من الكامل)

ما مِن يَدٍ في الناسِ واحِدَةٍ كَيَدٍ أَبو العَبّاسِ مَولاها

نامَ الثُقاتُ عَلى مَضاجِعِهِم وَسَرى إِلى نَفسي فَأَحياها

قَد كُنتُ خِفتُكَ ثُمَّ أَمَّنَني مِن أَن أَخافَكَ خَوفُكَ اللَهُ

فَعَفَوتُ عَنّي عَفوَ مُقتَدِرٍ حَلَّت لَهُ نِقَمٌ فَأَلغاها

إنّ أبا نواس في أبياته هذه أسهم في إخراج الفكرة الضمنية في الثقافة العربية عبر التأريخ والتي تستقر على تحديد صفات الحاكم الفردية أيّ كان انتمائها، فتنضوي هذه الصفات تحت خانة الرؤية الماضوية والاستشرافية للشخصية السلطوية التي تتمتع بالقوة والحكمة، إذ أضفى على الممدوح الأوصاف التي تجعله فوق الآخرين من حيث السطوة والتميز المنفرد وهذا ما يدفع الناس إلى الإيمان به كولي وحامٍ لهم ممسك بزمامهم منقادين له فهو يتمتع بأعلى درجات الفحولة الروحية السياسية التي تؤهله بأن يكون حاكمًا مفروضًا ليس له في البرية منافس.

إنّ شاعرًا مثل أبي نواس لا يخفى عليه العمق الثقافي العربي على الرغم من الشعوبية التي أُلصقت به، فهو قد حدد نمط التفكير العربي السياسي الذي يدور حول نسقية مجسدة لفردانية الحاكم محاكيًا الذاكرة العربية متماهيًا معها تلك الذاكرة المثقلة بثقافة التفرد.

وقد اتجه شعر السجون في بعض حالاته إلى تعزيز الفحولة السياسية بمحاولة إقصاء المنافسين مستندين إلى معرفة متراكمة بخشية الخلفاء منهم، قال علي بن الجهم[21]: (من الكامل)

يا أحمد بن أبي دؤادٍ إنما تُدعى لكل عظيمة يا أحمد

بلّغ أمير المؤمنين ودونه خوض العِدى ومخاوف لا تنفدُ

أنتم بني عم النبي محمد أولى بما شرع النبي محمد

ما كان من حسن فأنتم أهله طابت مغارسكم وطاب المَحتد

أمن السوية يا ابن بنت محمد خصم تقربه وآخر تبعد

إن الذين سعوا إليك بباطل أعداء نعمتك التي لا تجحد

شهدوا وغبنا عنهم وتحكموا فينا وليس كغائب من يشهد

إن النص الذي قدمه السجن لعلي بن الجهم يحمل إلى جانب المدح المتكلف والاستعطاف والتزلف رغبةً في التمكن الأوسع والأقدر، خشيةً المنافسة التي طالما أرقت حكم بني العباس والحكومات المشابهة لهم، ولا ريب أن في مثل هذه النصوص عصارة تجربة الشعب مع الحكام التي تتجلى أمام أعينهم بمرور الأيام[22]، وهو نسق يدفع ضرر رغبة المنافسة عن الممدوح برفع الأنا واقصاء من سواها، ولعل الشاعر عرف كيف يلج إلى ساحة الاستعطاف عند الممدوح فجعل من نقده وعتابه بعد سوء معاملته بسبب السعاية مقرونًا بالمدح، ومشفوعًا بالتذكير بخطر المنافسة وما قوله:

أنتم بني عم النبي محمد أولى بما شرع النبي محمد

إلا ليذكرهم بعديد المنافسين لهم على السلطة؛ لأنّ كلمة أولى تعني وجوب وجود طرف آخر هم أولى منه ـــ من وجهة نظر الشاعر ـــ يعرفون مكانته وقدرته على إزالتهم، فما كان للشاعر إلا أن يخوض في هذا الغمار الذي قد يحفز الخوف الذي تراكم عند أولي السلطان بحكم التجارب ومن جانب آخر يعزز هذا الفعل من فكرة إقصاء الآخرين.

وبالعودة إلى أبي نواس نجده قد أسهم كثيرًا في توطيد فاعلية الفحل السياسي عندما يمتدح الخليفة الأمين، بقوله[23]: (من الطويل)

لَعَمرُكَ ما غابَ الأَمينُ مُحَمَّدٌ عَنِ الأَمرِ يَعنيهِ إِذا شَهِدَ الفَضلُ

وَلَولا مَواريثُ الخِلافَةِ أَنَّها لَهُ دونَهُ ما كانَ بَينَهُما فَضلُ

فَإِن تَكُنِ الأَجسامُ فيها تَبايَنَت فَقَولُهُما قَولٌ وَفِعلُهُما فِعلُ

أَرى الفَضلَ لِلدُنيا وَلِلدينِ جامِعاً كَما السَهمُ فيهِ الريشُ وَالفَوقُ وَالنَصلُ

فالشاعر قد وجد في سلطة الخليفة حضورًا فاعلًا في كل الأمور المهمة، وهذه الرؤية الناتجة من تعاقد المجتمع والتي تبلورت في هذه الأبيات عززت من فاعلية الفحل السياسي الممدوح، فالإصرار الملفت لفكرة الفضل على الآخر، والتعمق الواضح في التأريخ وحق الإرث، وإظهار قوة الفحل السياسي قولًا وفعلًا وغيرها من السمات المجلوبة دلالات واضحات على السطوة والتأثير الذي يمتلكه السلطان في تبديل الأمور، وهذا المعنى السياسي العميق أوجده التراكم المعرفي للحشد حتى أصبح تعبيرًا نسقيًا موازيًا للتعبير الحقيقي أسهم النص الجمالي بما لونه من أساليب فنية وموضوعية بإخفائه.

ولم يتوقف ذلك عند أبي نواس في محاولاته للخلاص من سجن بل وصل إلى مرحلة الإسراف في التمجيد فوضع نعوتًا مفرطًا فيها، مثلما فعل مع الرشيد، فقال[24]: (من الوافر)

يَراكَ اللهُ للإسلامِ عِزًّا وَحِصنًا دونَ بَيضَتِهِ حَصينَا

لقد أرهبتَ أهلَ الشِّركِ حتى تَرَكتَهُم وما يَتَذَمَّرونا

تَزورُهُم بنَفسِكَ كلَّ عامٍ زِيارةَ واصِلٍ للقاطِعينَا

ولو شِئتَ اكتَفَيتَ إلى نَعيمٍ وَقاسَى الأمرَ دونَكَ آخرونا

إن اعتماد الدين في صناعة الفحل السياسي يعد أمرًا رائجًا في الشعر العباسي سواء أكان في شعر السجون أم في غيره من قصائد المديح، فالخطاب هنا يحدد ملامح الفحل السياسي الذي ترتضيه الثقافة الإسلامية معتمدًا على مكانة الدين في نفوس المجتمع فضلًا عن الاحتجاج الذي يمكنه تعزيز سطوة الخليفة بوصفه حاكمًا دينيًا وخليفة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسمات مثل التضحية والتفاني عند الحاكم تمثل الركن الأمثل الذي يتأمله المجتمع في القائد، أما الجانب التنظيمي للقائد السياسي فيكمن في مركزية القيادة التي تتيح ضمان النصر والحفاظ على الدولة الاسلامية وهي قيم ثقافية تجد في القائد الفحل شخصية محورية لا يستعاض عنها في تأمين التنظيم السياسي.

إن الحيل البلاغية والأسلوبية التي انماز بها شعراء السجون مكنت الأنساق من الرواج هذا الإشهار الذي مرر الأنساق السياسية المتعلقة بقداسة الحاكم مما جعل نقده ضربًا من المخالفات، وهذا ما أسهم في صناعة الحاكم الطاغية والشاعر عندما يدور في فلك التضخيم على اختلاف الأسباب يكون محورًا خطيرًا في الأحداث السياسية من حيث التوجيه[25]، وإحدى صور التقديس أن يعزز النسق من روح التملك عند السلطان، فتنمي فيه رغبة الاستحواذ على الثروات، وقد يصل الأمر إلى تمليك النفس بوصفها أعزّ الممتلكات لدى الإنسان، كما في قول أبي نواس[26]: (من الطويل)

يُنافِسُني فيكَ الزَمانُ وَأَهلُهُ وَكُلُّ زَمانٍ لي عَلَيكَ مُنافِسُ

شَرَيتُكَ مِن دَهري بِذي الناسِ كُلِّهِم فَلا أَنا مَبخوسٌ وَلا الدَهرُ باخِسُ

وَمَلَّكتُكَ النَفسَ النَفيسَةَ طائِعاً وَتُبذَلُ لِلمَولى النُفوسُ النَفائِسُ

إذ مثلت أبيات أبي نواس نسقية الاستحواذ السياسي بمختلف أشكاله، ذلك الاستحواذ الذي ترسخ في ذاكرة المجتمع فشكل هذا النص جملة ثقافية عالقة في وجدان الشعب جوهرها ينص على إعطاء القيمة المثلى للحاكم

الفحل بوصفه مركزا والآخرون ليسوا سوى أجرام تدور في فلكه تستجيب لإرادته وتخضع لرغباته، هذه الايدلوجية السياسية التي حكمت تعاملات المجتمع مع السلطة روضته وجعت منه مدافعًا بالدرجة الأولى عن الحاكم يخاصم أي أحدٍ و شيء يمكنه منافسته على هذا الخضوع وحتى الزمان الذي خاصمه الشاعر في صراع الاستحواذ يحيل إلى التسليم الفكري لمبدأ الخضوع.

الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج يمكن اجمالها بما يأتي:

1. الاستبداد السياسي في العصر العباسي كان سببًا مباشرًا في خلق أدب سجون يعكس قهر السلطة، ويكشف عن انسحاق المثقف أمام تعسف الخليفة، كما يظهر في تجارب شعراء كعبد الله بن علي.

2. مثّل شعر السجون أداة مقاومة ثقافية، وظّف فيها الشعراء الرمزية، والتلميح، والاستعطاف، كوسائل لمواجهة السلطة دون التصريح المباشر بالخروج عليها.

3. تجسدت الفحولة السياسية بوصفها نسقًا ثقافيًا رسّخه شعراء السجون، من خلال تمجيد الحاكم ووصفه بصفات شبه مقدسة، مما ساهم في تعميق مركزية السلطة وربطها بالقداسة الدينية.

4. أظهر المبحث أن الأنساق السياسية لم تكن أحادية الاتجاه، بل تنوّعت بين المواجهة والمهادنة والتملق، وهو ما يكشف عن تعدد مواقف الشعراء بحسب انتماءاتهم وخلفياتهم العقدية والسياسية.

5. لعب الخطاب الشعري دورًا في توثيق الصراع السياسي والاجتماعي، وبدا أداة تعبيرية تُظهر ما لا يستطيع المجتمع قوله مباشرة بفعل الخوف من السلطة.

6- إن دراسة النسق السياسي قد منحت مساحات واسعة لمراجعة الأفكار الشائعة عن الشعراء فالشاعر وإن كان ظاهرًا يميل إلى فئة معينة إلا أنه سرعان يجرفه النسق ليحكمه عبر مؤسساته الأيديولوجية ليكون متماهيًا مع واقعه ناطقًا عنه.

المستخلص باللغة الانكليزية

This study explores the manifestations of the political code in prison poetry during the Abbasid era through a cultural–normative reading that aims to uncover both the implicit and explicit cultural structures formed under an authoritarian political hegemony. The analysis employs the tools of cultural criticism and interprets the texts through this theoretical lens, while also drawing on other analytical methodologies and previous academic studies in this field. Among these are a doctoral dissertation titled “Prison Poetry in Arabic Literature from 334 AH to 656 AH: A Thematic and Artistic Study” by researcher Amal Jabbar Al-Shara‘, submitted to the College of Arts at Al-Mustansiriyah University; a master’s thesis entitled “Prison Poetry in the Abbasid Era from 132 AH to the End of the Fourth Century

---

AH: A Critical Historical Study" by researcher Hadi Sadikh Zughayr, which was later published as a book in 2024 by the Cultural Affairs House; and a book published by Noor Publishing titled "Prison Poetry in the Abbasid Era" by Dr. Khalid Idris, a faculty member at Sudan University of Science and Technology.

The study is divided into three prominent themes:

1. The Code of Tyranny: This section highlights the absolute control of the Abbasid caliphs and their suppression of opposition, as reflected in prison poetry. Poets used prison as a platform for critique and for voicing grievances against injustice, as seen in the poetry of ʿAbd Allāh ibn ʿAlī and Tamīm ibn Jamīl.

2. The Code of Confrontation: This theme emerges in poems where poets confronted the ruling authority either directly or implicitly, using rhetorical tools that conveyed defiance, rejection, and reminders of the vicissitudes of time. Examples include the poetry of al-Sayyid al-Ḥimyarī (d. 173 AH) and Ibn al-ʿAmīd (d. 360 AH), among others.

3. The Code of Political Masculinization: This section discusses the glorification of authority and the "masculinization" of the ruler — that is, attributing qualities of superiority and power to him, thereby creating a relationship of domination and voluntary submission. This is illustrated in the poetry of Abū Nuwās (d. 198 AH), ʿAlī ibn al-Jahm (d. 249 AH), and others.

The study reveals the dynamic nature of political codes in prison poetry, showing them as critical and cultural tools that may either implicitly resist hegemony or, conversely, justify and sanctify the authority of the ruler

الهوامش

[1] معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، غي هرميه وآخرون، تر: هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م: 393.

[2] ينظر: معجم الدراسات الثقافية، كريس باركر، تر: جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018م: 229.

[3] ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط8، (د ت): 20.

[4] ينظر: شعر السجون في العصر العباسي: 80.

[5] ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1978م: 4/ 348.

[6] قسم أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، مطبعة الصاوي، عني بنشره: ج. هيورث . دن. بمدرسة اللغات الشرقية بلندن، ط1، 1936م: 308.

[7] ينظر: مقاتل الطالبيين، أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (356هـ)، دار المتقيين للطباعة والنشر، لبنان، ط2، (د.ت): 192، 193، 194.

[8] م. ن: 194.

[9] شعر السجون في العصر العباسي: 141.

[10] ينظر: النقد السياسي في المثل الشعبي دراسة في ضوء النقد الثقافي، عبدالحميد الحسامي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، (د.ط)، 2013م: 149.

[11] ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د ط)، (د. ت): 14/ 191، 192.

[12] م. ن: 221/14.

[13] معجم الأدباء: 14/ 201.

[14] الاغاني: 10/ 254.

[15] ينظر: مقاتل الطالبيين: 362.

[16] م. ن: 362.

[17] الشرح: 5.

[18] ينظر: النقد السياسي في المثل الشعبي دراسة في ضوء النقد الثقافي: 58، 64، 65، 68، 73.

[19] ينظر: شعر زهد المجان في العصر العباسي الأول دراسة في ضوء النقد الثقافي، د. هيلين فاضل المعموري، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل، ط1، 2023م: 73.

[20] ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ: ٤٥٩.

[21] ديوان علي بن الجهم، تح: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديد، بيروت، ط2، 1980م: 125.

[22] ينظر: النقد السياسي في المثل الشعبي: 66.

[23] ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ: 449.

[24] ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ: 403.

[25] ينظر: شعر زهد المجان في العصر العباسي الأول دراسة في ضوء النقد الثقافي: 77.

[26] ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ: 234.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الأغاني، علي بن الحسين بن محمد "أبوالفرج الأصفهاني"، تح: احسان عباس، وابراهيم السعاقين، وأبو بكر عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط)، 2002م.
- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط8، (د ت).
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ، تحقيق وضبط وشرح: احمد عبدالمجيد الغزالي، مطبعة مصر، (د ط)، 1953م.
- ديوان علي بن الجهم، تح: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديد، بيروت، ط2، 1980م.
- شعر السجون في العصر العباسي، خالد ادريس، noor publishing، London، (د ط)، 2017م.
- شعر زهد المجان في العصر العباسي الأول دراسة في ضوء النقد الثقافي، د. هيلين فاضل المعموري، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل، ط1، 2023م.
- قسم أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، مطبعة الصاوي، عني بنشره: ج. هيورث . دن. بمدرسة اللغات الشرقية بلندن، ط1، 1936م.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1978م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د ط)، (د. ت): 14/ 191، 192.
- معجم الدراسات الثقافية، كريس باركر، تر: جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018م.
- معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، غي هرميه وآخرون، تر: هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م: 393.
- مقاتل الطالبيين، أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (356هـ)، دار المتقيين للطباعة والنشر، لبنان، ط2، (د.ت).
- النقد السياسي في المثل الشعبي دراسة في ضوء النقد الثقافي، عبدالحميد الحسامي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، (د.ط)، 2013م.

- النقد السياسي في المثل الشعبي دراسة في ضوء النقد الثقافي، عبدالحميد الحسامي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، (د.ط)، 2013م.
- مقاتل الطالبيين، أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (356هـ)، دار المتقيين للطباعة والنشر، لبنان، ط2، (د.ت).